الثورة
الاثنين 20 ذو الحجه 1433هـ 5 نوفمبر 2012م العدد (17519)

الإنسان و البيئة في اليمن

شواهد شامخة في ترويض الطبيعة

بخلاف بشر الحضارات الأخرى.. ما إن أخذ الإنسان اليمني كفايته من تأمل الجبال حتى كان قد وصل بتفكيره إلى أنجح السبل وأكفأ الطرق لمواجهة الجبال.. وعلى نحو يضمن تحقيق أهداف متعددة كان في مقدمتها هدفان على وجه التحديد.. وهما:

1- منطقيا: عدم مواجهة الجبال كخصم يجب إلحاق الضرر الأقصى بها.. لأن الجبال أكبر حجماً من محاولة نقلها وأكبر مساحة من تقطيعها لأوصال وقطع صغيرة أو متوسطة الحجم بحيث يسهل محوها تدريجياً والاستفادة من الأرض المستوية في سكن أو زراعة.

2- عملياً: ثمة استفادة عظمى من الجبال بحالتها الراهنة.. وبغض النظر عن ارتفاعها أو طولها أو حتى حجمها.. وذلك بالتكيف معها وتطويعها للاحتياجات اليومية سواء الدائمة أو المؤقتة.. وبما يخدم الإنسان ويساعده في أداء مهامه العملية خاصة الزراعية منها.

وهكذا وعلى نحو استثنائي وللمرة الأولى- ربما في التاريخ الإنساني- ساهمت الجبال في نشوء وازدهار حضارة عريقة في جنوب الجزيرة العربية عرفت باسم: العربية السعيدة.

المقالح عبد الكريم

مأوى بين الغيوم..!

عرف الإنسان اليمني أنماطاً عدة من المساكن.. ولعل آخرها هو الطين والحجر.. مساكن الطوب أو (اللبْن).. أو مساكن تُعَلّى جدرانها من قطع الأحجار.. إما متشابهة أو مختلفة الأحجام.. والتي يتم تثبيتها ببعضها البعض عن طريق الطين المخلوط بالقش اليابس وروث الحيوانات.

وإذا كان الإنسان اليمني قد استوطن الجبال أيضاً.. وذلك على مستويين اثنين كالتالي:

1-المستوى الأول: (المغارات). وهي فكرة ربما تم استلهامها من الحيوانات.. ولعل السكن البدائي تم داخلها إلى أن بدأت المجموعات البشرية بصنع مغاراتها الخاصة بها.. وذلك كما هو موجود إلى اليوم في مناطق مختلفة من اليمن.. حيث تنتشر الكثير من المغارات والكهوف ما بين طبيعية ومنحوتة.. مثل مغارات جبال (حيطوم) بالمهرة.. والكهوف الموجودة في جبال جزيرة سقطرة ومقبنة في مدينة تعز.

2- المستوى الثاني: (تشييد المباني). لعل شهرة كثير من القرى اليمنية مستمدة من كونها متربعة على قمم الجبال.. مثل قرية القرن بالمحويت والهَجرة في حراز وصبر على جبل صبر.. إضافة إلى قرى كثيرة أغلبها ما تزال مغمورة مثل القرى الموجودة على جبال: أسبيل في ذمار- رداع في البيضاء وضبضب في مديرية الشحر بحضرموت.

ولا يتوقف الأمر عند حد مساكن الدنيا.. بل يتعداه إلى مساكن الآخرة.. وهو ما نجده في نموذج «القبور الصخرية» والتي نجد أكبر الأمثلة عليها في جبل شعيب بمديرية قطابر في محافظة صعدة.

تقنيات هندسية مبتكرة..!

(وفي البقعة الخضراء من أرض يحصب..
ثمانون سداً يقذف الماء سائلاً)

بيت شعري قديم.. يمكن اعتباره «شاهد عصر» وذلك بتوثيقه واحد من مظاهر التدخلات البشرية في الطبيعة وهي صناعة السدود.. التي انتشرت- وتنتشر- في شتى أرجاء اليمن.. أما أشهرها تاريخياً فهو سد مأرب.. الذي قد يصل عمره إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام.

ورغم أن ثمة حضارات مثل الفرعونية والفارسية وحضارات ما بين النهرين عرفت السدود.. إلا إن الحضارة اليمنية تفوقت على غيرها في مجال بناء السدود وذلك من نقطة مميزة وعلامة فارقة.. عَدّها كثير من التاريخيين وعلماء الآثار والهندسة المعمارية على أن في ذلك دليل عبقرية خاصة.

إذ وبعيداً عن الوظيفة التقليدية للسدود- والتي عرفتها غالبية الحضارات- من حيث كونها مجرد خزانات مياه تحجز وتحفظ المياه يتم الاستفادة منها في مواسم الجفاف وانقطاع الأمطار.برعت الحضارة اليمنية- من خلال نموذجها الفريد: سد مأرب- في استحداث وظيفة مغايرة للسدود.. تمثلت بشبكة وقنوات الري الملحقة بالسدود.. الأمر الذل ساعد على نشوء وازدهار حضارة في قلب الصحراء.. وعلى غرار حضارات أخرى مثل الفرعونية التي قامت على ضفاف النيل العظيم.. وحضارات بلاد ما بين النهرين والتي استمدت استمراريتها التاريخية من نهري: دجلة والفرات.

وهكذا تحولت الصحراء إلى جنة شهد لها وتحدث عنها القرآن الكريم في قوله تعالى:(لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة ظيبة ورب غفور) سورة سبأ الآية (15) وما كان هذا التحول ليحدث لولا التقنية المبتكرة التي نفذها اليمنيون الأوائل والمتمثلة بسد مأرب وقنوات الري.. وكل ذلك يعود فضله إلى تطويع المكان بما فيه وكل ما فيه بأسلوب ذكي وعلمي.. فوجود الجبلين المتقابلين: «بلق الأيمن» و«بلق الأيسر» أوحى للخبرة اليمنية ببناء حاجز/ سد بينهما.. لكن لم يكن ذلك كافياً.. فخزان عملاق يحفظ المياه فيه لا يفيد إلا بأقل القليل بسبب المسافة الشاسعة بينه وبين الأراضي التي يراد زراعتها واستصلاحها والعيش فيها وحولها.. وهكذا كان سد مأرب وبكل قنواته التي أشهرت الحضارة اليمنية.

وإذا ما اتجهنا جنوباً.. وتحديداً إلى عدن «ثغر اليمن».. فسنقع على تقنية هندسية أخرى في مجال حفظ الماء.. والمتمثلة بالصهاريج.. والتي تم بناءها في موقع متميز وسط جبال الطويلة بعدن.

وثمة تقنية أخرى قام بها الإنسان الأول على الجبال.. وهي تقنية «الأنفاق».. كما هو الحال في نفق «بينون» في محافظة ذمار.. وقد ذكره الهمداني في «الإكليل» الجزء الثامن.. إضافة إلى «البغدتان»/ النفق الكبير والصغير في محافظة عدن.

وإذا شئنا ختم الحديث عن التقنيات الهندسية والتي برع بها أهل اليمن ونفذوها على الجبال فسنحط رحالنا- بالتأكيد- عند المدرجات الزراعية التي تنتشر في أغلب أرجاء اليمن.. إلا أن أشهرها موجود في محافظة: إب- تعز وصنعاء.

قبل أن...

ياسين البكالي

ولشئٍ ما لابُدّ أن تعترفَ أنك ممتلئٌ بالجنون،
الغربة وحدها من تنام وتصحو بجوارِكْ
وأنتَ تمارسُ طقوسَ الحزن على مشارفِ ربيعٍ عربي ما زالتْ الطواغيتُ تُوصِدُ أمامَه أبوابَها .
ولأنكَ أنتَ.لا تسعفُكَ وجوهُ الآخرينَ إلا بمزيدٍ من الندم،ليس على ما فاتَ «بل على ما سيأتي به الغدُ.
حتى تلكَ التي ظلتْ تغمرُكَ بنظراتِها الحادة،لم يكنِ الإعجابُ مَن أخرجَها من مخبأ الصمتِ،
إنه الهروبُ إلى عَالمٍ يكون الصمتُ وسيلةُ التعبيرِ الأجدى فيه .
وحينما يـزّفُكَ الحنينُ إلى بلاطِ قصيدةٍ ما ،تكتشفُ كم هوَ شاحبٌ هذا السياقُ الذي تتزاحَمُ مفرداتُه، على بئرٍ مُعطْلةٍ تماماً مِن السمعِ.
(لا داعٍ هنا للحديثِ عن الأبصار والأفئدة لأنها مُكتّظّةٌ بأشباحِ الفراغِ ،أو بمعنى أدقْ إنها خارج نطاقِ السيطرة).
ومع ذلك ما زلتَ تكتبُ !!!
هل هو الذَنْبُ الذي لم تغفرهُ لكَ المشيئةُ بعد ؟؟؟
لستَ تدري ، ولكنكَ تدري أنكَ محفوفٌ بعلاماتِ الإستفهامِ في ظلِّ غيابِ كلِّ علاماتِ الترقيم التي قد تشُدُّ مِن أزْرِكَ .
ملعونةٌ هي الحياةُ التي لا تقدمُ لمُبْدِعيها رائحة النشوةِ وهمْ يمتطون صهوةَ الخيالَ،
مُتَنَقّلينَ في عوالمِ الدهشةِ،ليعودوا بما خَفّ حرفُه وغلا معناهُ .
عروسةُ الرمادِ لنْ تكونَ في النهاية سوى جمرة تستقي منكَ حرائقَ الضميرِ ،لكنها لن تسعفكَ أبداً بما يُثلِجُ الصدر..

٢٠١١/١١/٢م

اصدارات ثقافية

أدباء فلسطين في «بانيبال»

■ مع صدور العدد 45 من مجلة «بانيبال»، تكون المجلة قد أكملت بالتمام والكمال 15 عاما من الصدور المنتظم، منذ فبراير/شباط 1998 وحتى اليوم. وقد خصصت المجلة هذا العدد التاريخي للاحتفاء بالادب الفلسطيني الجديد، الذي جاء تحت عنوان «أدباء من فلسطين» والذي تضمن اعمالا روائية وشعرية لـ23 أديبا فلسطينيا من القدس، رام الله، غزة، حيفا، عكا والناصرة، وهم: مايا أبو الحيات، علاء حليحل، داليا طه، ابتسام عازم، اياد البرغوثي، نجوان درويش، تمارا ناصر، زياد خداش، ايناس عبدالله، باسم النبريص، طارق الكرمي، عالية السقا، راجي بطحيش، اسراء كلش، مروان مخول، محمود أبو هشهش، حنين نعامنة، ريم غنايم، يوسف القدرة، ماجد عاطف، أسماء عزايزة، أكرم مسلم، ومهيب البرغوثي. بالاضافة الى مقالة عن اوضاع الثقافة الفلسطينية كتبها مرزوق حلبي، ومقابلة طويلة مع الممثل والمخرج محمد بكري اجراها عماد خشان في نيويورك. كما احتوى العدد الجديد، نصوصا روائية وشعرية لكل من رشيد بوجدرة وسمير قسيمي وسميرة نغروش (الجزائر)، نهاد سيريس (سوريا)، ربيع جابر (لبنان).

وفي زاويتها المعنونة «أدباء ضيوف» تنشر المجلة نصا روائيا للكاتب الروماني فاسيلي باغيو، وقصة قصيرة للكاتب الفييتنامي هو أن تاي.

وقام الفنان العراقي ستار كاووش برسم وتصميم غلاف المجلة.

"الرقص على إيقاع الصمت"

● ضمن سلسلة الكتاب الأول لمنشورات وزارة الثقافة المغربية، صدر للشاعر رشيد طلبى، ديوان شعر بعنوان "الرقص على إيقاع الصمت" فى 122 صفحة عن مطبعة دار المناهل. ويضم الديوان 37 نصا شعريا وتزين غلاف الديوان لوحة للتشكيلية أحلام لمسفر.

سلسلة الكتاب الأول هى موضع احتفاء من لدن فعاليات المعرض الدولى الأخير للنشر والكتاب بالدار البيضاء، وهى السلسلة التى شكلت كوة ضوء لأقلام شابة لم تستطع مواجهة إكراه النشر ورغم ما حظيت به هذه السلسلة من احتفاء وتنويه إلا أن تطوير آلياتها وإستراتيجيتها كفيلة بأن تتحول الى تقليد ثقافى يسهم فى الكشف على وجوه إبداعية مغربية تشكل مستقبلا أعمدة أفق الثقافة المغربية.

ورشيد طلبى ضمن هؤلاء الذين ضخوا بنصوصهم الشعرية دماء جديدة للمشهد الإبداعى فى المغرب، شاعر شاب بانكسارات كبرى وبجحيم خسارات لا نهائية. إذ على امتداد نصوص الديوان نكتشف زخما هائلا من لغة الانكسار والغياب والموت والخسارات، متوالية من السواد تلف عوالم النصوص الـ37. ورغم افتراضنا أن تجميع القصائد خاضع لشرطه الموضوعى، الديوان الأول. إلا أن تسلسل القصائد بدلالات ما تحتويه من نفس شعرى متواصل، وتماسك فى صياغة مقولات شعرية تستجيب لهذا الحس الفجائعى للغياب، نكتشف لنا عن شعرية الانكسار تلخص رؤى القصائد ككل.

أول معجم موسوعي للفنون الجميلة

■ تعكف لجنة ألفاظ الحضارة في مجمع اللغة العربية في القاهرة حالياً، على الإعداد لأول معجم موسوعي، يتضمن مصطلحات الفنون الجميلة في مجالاتها كافة . بدأ العمل في المعجم منذ خمس سنوات تحت إشراف لجنة من المتخصصين والخبراء برئاسة الشاعر الكبير فاروق شوشة الأمين العام للمجمع، وعضوية كل من صلاح فضل، محمود الربيعي، محمد حماسة عبد اللطيف، محمود المناوي، حسنين ربيع، محمد فتوح أحمد، إضافة إلى كل من الفنان صلاح المليجي والفنان ياسر منجي بوصفهم خبراء في الفنون الجميلة .

وقال الفنان صلاح المليجي إن هذا المشروع الثقافي الطموح يهدف إلى إثراء الحركة البحثية والفنية، إذ إنه سيزخر بآلاف المصطلحات التي تخص جميع المعنيين والمهتمين في كل فروع الفنون الجميلة، في العمارة والنحت والتصوير بأنواعه والرسم بأنواعه، وفنون الحفر والطباعة وفنون الإعلان والميديا والرسوم المتحركة وفنون النسيج والزجاج وأعلام الفن التشكيلي العالمي والعربي والمصري، ما سيكون له أثره الكبير في الفن من حيث تطوير مجالات التفكير والعمل والإبداع، ونشر الوعي بأهمية الفن بين أفراد المجتمع من خلال عمل معرفي عظيم يوحد المصطلحات الفنية المتداولة لضبطها وحمايتها وتقويمها .

وأضاف المليجي أن العمل شارف على الإنتهاء بعد أن قطع فريق العمل شوطاً كبيراً فيه، وسوف يتم الدفع به إلى الطباعة بمجرد التأكد من اكتماله ليتناسب مع روح العصر علماً وتطبيقاً، لكي تُعبر اللغة العربية عن لغة الفنون بشكل صحيح .

شجرة العابد

■ صدر حديثًا عن دار الشروق للنشر، طبعة جديدة لرواية "شجرة العابد" للدكتور عمار على حسن، الباحث فى العلوم السياسية، وقد قامت الباحثة الجزائرية كريمة بوكرش بتسجيل أطروحتها للدكتوراه بجامعة "المسيلة" فى مجال الآداب، وقد صدرت الطبعة الأولى من الرواية عن دار "نفرو" للنشر، وفى هذه الرواية زاوج عمار على حسن بين التصوف الخالص والواقعية السحرية، مستعملاً ما لدى الصوفية، فكرًا وذائقة ومسلكاً وطرقًا ولغةً، فى بناء أسطورته التى حاول خلالها أن ينسج شيئًا مختلفًا نسبيًا، عما ورد فى الأساطير العربية الشهيرة. وتجرى وقائع الرواية فى لحظة فارقة من الصراع بين الشرق والغرب فى أواخر القرن الخامس عشر وهو عصر المماليك، أما مكانها فيصل صعيد مصر وصحاريها بالقاهرة فى أيامها الزاهرة، لكنها ليست رواية تاريخية بحتة، رغم أن مؤلفها استفاد فى صياغة الأجواء والأحوال ورسم ملامح الأماكن وطقوس الحياة من كتب التاريخ والاجتماع التى تناولت هذه الفترة. ومحرك أحداث الرواية طالب علم أزهرى كان يسعى فى شبابه إلى الثورة على السلطان المملوكى الجائر فانتهى إلى درب التصوف هارباً من العسس والسجن والتعذيب والشنق الذى الذى كان مهددا به بعد أن اختفى حين عجز أن يحقق للسلطان المستبد حلمه بالوصول إلى الشجرة التى كان يعتقد هذا السلطان أنها كنز ثمين. وفى الرواية نقف بعناية على بعض ما تنطوى عليه الحياة من فلسفة عميقة، ويعرف بعض طرائق العيش وأشكال العمران وألوان الفنون والثقافة السائدة فى مصر المملوكية عند المسلمين والمسيحيين واليهود، من أهل الريف والحضر والبدو.

و"شجرة العابد" هى الرواية الرابعة لعمار على حسن بعد "حكاية شمردل" و"جدران المدى" و"زهر الخريف"، علاوة على مجموعتين قصصيتين هما "عرب العطيات" و"أحلام منسية" وقد حصلت الأخيرة على جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابى، فيما حصل كتابه "التنشئة السياسية للطرق الصوفية فى مصر» على جائزة الشيخ زايد فى فرع التنمية وبناء الدولة. وله كتب أخرى على رأسها "النص والسلطة والمجتمع: القيم السياسية فى الرواية العربية" و"الفريضة الواجبة: الإصلاح السياسى فى محراب الأزهر والإخوان المسلمين».

تحت الشمس

● توفي الروائي والرحالة البريطاني بروس شيتوين عام 1989، حين كان في التاسعة والأربعين من عمره. وقد عمل في بداية مسيرته المهنية، في صالة سوثبي، للبيع بالمزادات، بصفة خبير في مجال الفن الانطباعي. ولكنه توقف عن العمل فيها، بعد ان ضعف نظره وتعب، من التدقيق في اللوحات الفنيّة، ليسافر بعدها إلى إفريقيا، حيث زار عددا من البلدان، وفي عدادها السودان.

وتحوّل بعد ذلك، الى دراسة علم الآثار، ولم يستمر اهتمامه الجديد، سوى عامين فقط، إذ بدأ بعدها، ومنذ عام 1972، العمل كمستشار في مجال الفن، لدى مجلة «ساندي تايمز ماغازين». ثم كانت الكتابة الروائية مهنته، خلال العقدين الأخيرين من حياته.

ترك بروس شيتوين كماً كبيرا من الرسائل لزوجته اليزابت شيتوين، وايضا لعدد من أصدقائه والمقرّبين منه. ويضم كتاب «تحت الشمس»، مجموعة من هذه الرسائل التي اختارتها زوجته بمساعدة الكاتب نيكولا شكسبير.

ومن ما يؤكد عليه شيتوين في رسائله، أنه كان مولعا إلى درجة التطرف، بما يسميه: «الفراديس المشبعة بالشمس»، مثل : اليونان واسبانيا وبلدان جنوب المتوسط. وكذلك يبدو مولعا بالجمال، كما يعبر بوضوح وحماسة في رسائله. وهذا إلى جانب امتلاكه قدرة كبيرة على سرد الحكايات، حول ما يراه، أو ما كان يعيشه، أو عندما يتحدث عن اللوحات الفنية، إذ لم يكن يتردد في تقديم النصائح لأصدقائه عنها.

وتحتوي الرسائل المقدمة، على الكثير من الآراء حول المناطق التي زارها. وهكذا نجده يقول عن ليما عاصمة البيرو، أنها مدينة باهتة، ويكتب عن بلاده انجلترا: «انجلترا اليوم صغيرة.إنها عالم من المخازن المتخصّصة بالموضة وغيرها من الأشياء التي تدعو إلى التذمّر والاكتئاب، ولا شيء آخر يثير الاهتمام».

ولا يتردد المؤلف، في إظهار نوع من البغض حيالها، لكن أيضا حيال ساسة عصره وفي عدادهم رئيسة وزراء الهند السابقة انديرا غاندي، وتأكيده أنه لم يكن يبحث في ترحاله عن عالم أفضل، لكن بالأحرى عن عالم يمكنه أن يقبله. هذا بمعنى أنه لم يكن من صنف أولئك الرحالة الذين يبحثون عن اكتشاف الآخر، بل عن اكتشاف الذات.

وفي رسالة كتبها لأمة «مرغريتا شيتوين» من أفغانستان التي وصلها انطلاقا من «مشهد» في إيران يصف البشر الذين صادفهم في «هيرات» حيث ترتدي النساء «البراقع» ويضع الرجال على رؤوسهم «عمائم ضخمة» مصنوعة غالبا من «الحرير ذي اللون الوردي الفاتح». أما المركبات التي يجرّها البشر التي صادفها في الأسواق فإنها «لم تتغيّر منذ أن استقل الاسكندر المقدوني إحداها للانتقال من أفغانستان إلى الهند». هذا إلى جانب إشارته أن «هيرات» لا تزال تحتوي على الكثير من الأبنية التي تعود إشادتها إلى الحقبة التي كانت فيها «أحد أكبر المراكز التجارية في آسيا». إن هذه الرسالة تمثل بمجملها وثيقة عن صورة تلك المدينة الأفغانية ولكنها تحتوي أيضا، وخاصة، نبذة عن تاريخها وعن تاريخ أفغانستان عامة.

كذلك يكتب بروس شيتوين في أحد رسائله عن أفغانستان: «لا نزال نرى في عموم أفغانستان قوافل الإبل التي تهيم شاردة ذلك أن البلاد أصبحت سوقا للملابس التي تتدلى بألوانها الزاهية على جوانب المركبات. وما يثير الاستغراب في هذا الموقع المتقدم من الشرق الحر هو أن تلك الملابس كلها هي من صناعة غربية (...). ومن يريد دراسة الموضة الحديثة قد لا يستطيع أن يجد متحفا أفضل للثياب من هذا المكان».

ويشير الكاتب أن جميع بيوت الأزياء الأميركية الكبرى كانت موجودة في أسواق أفغانستان آنذاك من شيكاغو إلى هوليود، ومن «القطيفة المخملية السوداء» إلى «الدانتيل الأحمر».

وتحتوي الرسائل المنشورة في هذا الكتاب شرحا لرؤية صاحبها للحياة ولفلسفته في العيش. ونقرأ في رسالة وجهها إلى صديقه «مايكل كانون» عام 1966 ما مفاده: «ربما أنك قد علمت بتركي للعمل في صالة سوتبي للبيع بالمزاد العلني من أجل تحضير شهادة جامعية بعلم الآثار في ادمبورغ. إن التغيير هو الشيء الوحيد الذي يعطي مبررا للحياة. ينبغي أن لا نبقى دائما مسمّرين خلف مكتب، ذلك أن مختلف أشكال التقرّحات والأزمات القلبية قد تكون هي عواقب ذلك».

ويكتب شيتوين من أحد فنادق «بيونس ايرس» في الأرجنتين لزوجته «اليزابت شيتوين»، التي قدمت لهذا الكتاب واختارت رسائله، ما مفاده: «بيونس ايرس هي مزيج غريب تماما من باريس ومدريد، لكن دون أي عمق تاريخي». لكنه يؤكد بكل الحالات على جمال المدينة الأخّاذ.

ثم يقدم توصيفا لواقع تعامل الأرجنتينيين مع الانجليز الذين تربطهم معهم علاقات تاريخية ومع لغتهم حيث «لم يعد الأرجنتينيون من أصل انجليزي يمتلكون طلاقة الحديث بلغتهم الأصلية». ويضيف «بينما أن بعض أبناء البلاد الأصليين يتحدثون الانجليزية أفضل مني أحيانا».

ومن رسالة إلى أخرى ينتقل الكاتب بقارئه إلى عوالم جديدة وإلى آفاق جديدة عبر الحديث عن الأمكنة والبشر والتاريخ. وبالمحصلة يساعده على التعرّف على أشياء كثيرة في رحلة عبر العديد من أصقاع العالم...ولكن من خلال صفحات هذا الكتاب.

الكتاب: تحت الشمس رسائل بروس شيتوين - تأليف: بروس شيتوين - الناشر: فايكنغ بوك لندن 2011 - الصفحات: 554 صفحة - القطع: المتوسط.